المقاومة الفلسطينية ومضمون عملية التعبئة السياسية

نظراً الى تراكم العديد من القيم والمعايير في الشخصية الفلسطينية، الامر الذي قاد الى عجزها عن التحرك المنظم طيلة السنوات التي اعقبت نكبة العام ١٩٤٨، ونتيجة لما رسّخته احداث الاحتلال الاسرائيلي للضفة والقطاع للكثير من تلك القيم والمعايير، كان على حركة المقاومة الفلسطينية ان تعمل على ما يمكن تسميته «باعادة بناء الشخصية الفلسطينية الحركية». وفي هذا المجال، وفي الوقت الذي ركزت حركة المقاومة الفلسطينية، بصفة اساسية، على ايصال الجماهير الفلسطينية الى مرحلة العنف الثوري بأشكاله كافة[٥]، أي على بعث الشخصية الفلسطينية الجديدة المتبنية للعنف، فانها لم تول الاهتمام الكافي لمسألة تخليص الشخصية الفلسطينية من بعض القيم والمعايير ذات الطابع الاجتماعي ـ الثقافي، والتي يمكن أن تلعب دوراً مسرّعاً في ظهور الشخصية الفلسطينية الجديدة، وفي المحافظة عليها. فهذا المجال لم يستأثر الا بالقليل من الجهد الفلسطيني.

العمل على بعث الشخصية الجديدة

لتخليص الشخصية الفلسطينية من قيم العجز والاستسلام للواقع واليأس (المتولد من الاتكالية، والاغتراب، والاحباط، على التوالي)، بما يكفل بعث الشخصية الفلسطينية الجديدة، المتفهمة لطبيعة الصراع مع اسرائيل، والمستعدة للانغماس فيه، عملت حركة المقاومة الفلسطينية على تقديم الارضية الفكرية لعلمية البعث هذه، بتقديم توصيف جديد للصراع العربي ـ الاسرائيلي، يختلف عن ذلك الذي سيطر على الفكر العربي، الذي قاد ليس فقط الى عدم استرجاع فلسطين، بل، أيضاً، الى عدم القدرة على المحافظة على ما تبقى منها في يد العرب. ثم قامت، من ناحية أخرى، بالتركيز على ابراز الدور الفلسطيني في الصراع، وذلك لاعادة الاعتبار الى الشخصية الفلسطينية. ثم ربطت من ناحية اخيرة، ربطاً جدلياً، بين عودة الطرف الفلسطيني في الصراع وبين تبني العنف وسيلة للتحرير الذاتي والوطني للفلسطينيين.

(أ) طبيعة الصراع مع اسرائيل

منذ تبلور المشكلة الفلسطينية، ظل الفكر العربي يتراوح بين تيارات ثلاثة لتحديد طبيعة الصراع على ارض فلسطين، لم يكن للفلسطينيين أي دور فيه. فهناك، أولاً، التيار الديني، الذي نظر الى المشكلة من زاوية انها صراع بين مسلمين ويهود. وهناك، ثانياً، التيار القومي، الذي نظر الى المشكلة من زاوية انها صراع بين القومية العربية وبين حركة استيطانية استعمارية، هي الصهيونية. وهناك، أخيراً، التيار الماركسي، الذي نظر الى المشكلة من زاوية التحليل الطبقي، على أساس أنها صراع بين البروليتاريا العربية واليهودية، وبين البرجوازية العربية واليهودية.

وتخطياً لهذه العموميات الفكرية، قدمت حركة المقاومة الفلسطينية توصيفاً جديداً للصراع يدور حول ثلاث مسائل برز فيها التركيز على الشخصية الفلسطينية، وشكّلت وفاقاً عاماً فيما بين فصائل المقاومة الفلسطينية، وهي[٦]:

١ ـ ان التناقض بين الامة العربية والكيان الاسرائيلي هو تناقض أساسي، وذو طابع عدائي تناحري. هو صراع وجود أو لا وجود. فالكيان الاسرائيلي يشكل نفياً للوجود الفلسطيني، الذي هو جزء من الامة العربية.